الغارات البحرية على الأندلس فى عصرى الإمارة والخلافة.

(١٣٨ – ٤٢٢ هـ) – (٧٥٦ – ١٠٣١ م)

إعــداد

د. راوية عبدالحميد شافع

أستاذ التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية المساعد

كلية الآداب – جامعة حلوان.

مجلة الدراسات التربوية والانسانية . كلية التربية . جامعة دمنهور .

المجلد السابع – العدد الثالث– لسنة ٢٠١٥

الغارات البحرية على الأندلس فى عصرى الإمارة والخلافة.

(١٣٨ – ٤٢٢ هـ) – (٧٥٦ – ١٠٣١ م)

د. راوية عبدالحميد شافع

المقدمة:

واجهت الأندلس الإسلامية العديد من الغارات البحرية، وبخاصة فى عصرى الإمارة والخلافة، وذلك لعدة أسباب، منها العداء السياسى بين شطرى العالم الإسلامى الغربى والشرقى، والمقصود هنا العداء السياسى بين الخلافة العباسية فى بغداد، والدولة الأموية فى قرطبة، وذلك بعد أن استقل أول أمراء بنى أمية فى الأندلس، الأمير عبدالرحمن بن معاوية الداخل، وأعلن استقلال الأندلس عن الخلافة العباسية– الأم– وهى الخلافة الحيدة فى العالم الإسلامى، فى ذلك التوقيت المبكر، من عمر الدولة الإسلامية، ولذلك اعتبرت الخلافة العباسية أن هذا الاستقلال، قد أدى إلى بتر جزء مهم من أملاك الخلافة، وهى التى اعتبرت كل أراضى الدولة الإسلامية شرقا وغربا، ملكا خالصا لها، لا ينبغى أن ينازعها فيه أحد.

ولذلك عندما نجح عبدالرحمن الداخل، فى إقامة ملك بنى أمية من جديد، ناصبته الدولة العباسية العداء، واستمر هذا العداء واضحا طوال فترة بقاء الدولتين، هذا من جانب الخلافة العباسية، والتى سارعت فى الاشتراك وتدبير أول غارة بحرية على الأندلس، مع والى المغرب، المناصب العداء بدوره ، لأول أمراء الأندلس.

ولم تكن الخلافة العباسية، وتابعيها أو حلفاءها فى بلاد المغرب، هم العدو الوحيد للوجود الإسلامى فى الأندلس، وإنما وجد أعداء كثر على طول تاريخ الأمويين فى عصرى الإمارة والخلافة، وهو ما يتمحور حوله موضوع البحث.

وقد فضلت أن أتناول تلك الغارات أو الهجمات، على الأندلس تبعا لحدوثها

تاريخيا، علاوة على إبراز تلك الغارات، لكل جانب على حدة، وهو ما وضح من خلال البحث، بأن تلك الغارات، كان يشترك بها أحيانا العديد من الأطراف.

وقد كان الهدف الرئيسى للقيام بهذا البحث، وجاءت فكرته، للحاق والاشتراك به فى الندوة السنوية لجمعية اتحاد المؤرخين العرب، والتى عقدت تحت عنوان "العرب والبحر عبر عصور التاريخ "، بيد أن عدم اكتمال البحث، فى الموعد المحدد، وبخاصة فى النقطة التى تتناول عصر الخليفة الحكم المستنصر، والتى أرخ لها، بالتفصيل المؤرخ الأندلسى، ابن حيان، ولعدم توافر تلك القطعة بسهولة، لا فى المكتبات ، ولا على مواقع النت ، ولأن البحث يتناول عصر الخلافة، كان من الصعب، استكمال البحث، دون الرجوع إلى هذا المصدر الأصلى لاستكمال تلك الفترة المهمة، ولذا أثرت التريث ونشر البحث بعد استكماله.

والحقيقة أن تلك الغارات، قد أثرت كثيرا على الأندلس، وساهمت فى توقف العديد من المشاريع السياسية، لأمراء وخلفاء بنى أمية، وقد أضعفت تلك الغارات الدولة الأموية، واتخذ هذا الموضوع أهمية كبيرة أيضا فى الاهتمام البحرى لبنى أمية، نظرا لما تمتعت به الأندلس الإسلامية، من شواطىء ممتدة فى الشرق والغرب والجنوب، فهى تاريخيا شبه الجزيرة الأيبيرية، ولذلك أضحت مطمعا للعديد من الدول سواء المجاورة أو حتى التى ليس لها أى حدود سياسية أو بحرية معها.

وقد انطلقت تلك الغارات تحمل العديد من الأسباب أهمها على الإطلاق، الرخاء ورغد العيش، والبنية الحضارية التى تفردت بها الأندلس بالقياس للدول المجاورة، والبعيدة على عصرها.

وقد بدأت تلك الغارات البحرية منذ وقت مبكر من تاريخ الأندلس، ومثلت خطورة كبيرة على الدولة الوليدة، وعلى مشروع عبدالرحمن الداخل فى إحياء الخلافة الأموية، التى سقطت فى الشرق، وتجدد الحلم، بإقامة الدولة مرة أخرى فى الغرب، وإن لم تحمل، اسم الخلافة هذه المرة، لاعتبارات عديدة أهمها عدم تقبل

فكرة تفتيت الخلافة الإسلامية، فى هذا الوقت المبكر من عمر الدولة الإسلامية شرقا وغربا [١].

وقد توقفت كثيرا أمام أول كلمة فى عنوان موضوع البحث، هل تكون غارات أم هجمات أم غزوات ، واستقر الرأى فى النهاية على كلمة غارات، لأنها لغويا تعبر أفضل عن الموضوعات البحرية، ولأن الموضوع يتناول الغارات البحرية على شبه الجزيرة الأيبيرية شرقا وغربا وجنوبا.

علاوة على أن الغارة تكون مفاجئة ومباغتة وسريعة، وكانت تلك سمات الغارات البحرية على الأندلس، وأما كلمة الهجمات أو الغزوات، فهى تلاءم أكثر الحروب البرية.

وقد ولدت فكرة البحث أيضاً، من خلال الطبيعة الجغرافية الممتدة لشبه الجزيرة الأيبيرية (الأندلس الإسلامية)، والإغراء الشديد من قبل المتربصين بالأندلس، لشن الغارات عليها على مدار تاريخها. وبخاصة فى عصرى الإمارة والخلافة ـ فترة موضوع البحث. حيث كانت الدولة متماسكة إلى حد كبير، وتحت حكم أمير أو خليفة واحد، رغم كل الثورات الداخلية والخارجية، خلال العصرين. وهو ما لم يتحقق فى العصور اللاحقة بنفس القوة والتماسك.

وقد انقسمت الغارات على الأندلس إلى قسمين رئيسيين، الأول، من أعداء الدولة التقليديين من الدول والخلافات الإسلامية المعاصرة شرقا وغربا، أما القسم الثانى فهو يختص بالعدو الخارجى، وبخاصة الدولة الكارولنجية، ومجوس الشمال كما أطلق عليهم العرب، وهم النورمانديون، الذين امتدت غاراتهم زمنا طويلا من عصر الأمير عبدالرحمن الأوسط، حتى عصر الخليفة الحكم المستنصر بالله. وقد كانت هناك بعض الغارات ، مشتركة بين الطرفين وهو ما سيتبين من خلال نقاط البحث.

أولا :- عصر الإمارة. (١٣٨ - ٣١٦ هـ) - (٧٥٦ - ٩٢٩م).

*** الأمير عبد الرحمن الداخل. (١١٣ - ١٧٢ هـ) - (٧١٣ - ٧٨٨م).**

كانت أول الغارات البحرية على الأندلس، قد بدأت فى عهد الأمير عبدالرحمن بن معاوية بن هشام، والذى حمل لقب عبدالرحمن الداخل، فهو أول من وضع الأندلس على طريق الدولة المستقلة المتماسكة ، والمنفصلة عن أى تبعية لأحد من المعاصرين المتربصين فى عصره، وكانت تلك الغارة ، فى إطار ما اصطلح على تسميته تاريخيا "بالمؤامرة الكبرى".وقد تمثلت تلك الغارة البحرية على الأندلس، والتى قام بها عبدالرحمن بن حبيب الفهرى الصقلبى [٢]، وذلك عندما عبر من إفريقية (المغرب الأدنى)، بجيش بحرى كبير من البربر، ونزل به فى مدينة تدمير [٣] الساحلية.

وقد جاء هذا الإنزال البحرى فى إطار الاتفاق والتحالف بين أطراف المؤامرة ضد عبدالرحمن الداخل، وقد شارك فى هذه المؤامرة العديد من الأطراف ، اجتمعوا على هدف واحد، وهو القضاء على الدولة الأموية الوليدة فى الأندلس ، وكل طرف من هذه الأطراف، كانت له أهدافه الخاصة وحساباته الخاصة أيضا للتحالف مع الطرف الآخر، وكانت أهم رؤوس تلك المؤامرة بالإضافة إلى عبدالرحمن الصقلبى، وهو محور تلك النقطة الخاصة بموضوع البحث ، الخليفة العباسى محمد المهدى (١٢٧ - ١٦٩هـ)- (٧٤٥ - ٧٨٥م)، وقارلة أو شارلمان بن بيبيان [٤].

وقد كان الهدف المشترك بين هذين الطرفين هو العداء المشترك للدولة الأموية فى الأندلس، فالدولة العباسية تريد فرض سيادتها على الأندلس ، كجزء من العالم الإسلامى، الذى هى خلافته الوحيدة إلى هذا الوقت، وقارلة كان يطمع فى إنهاء الحكم الإسلامى فى الأندلس فى هذا الوقت المبكر جدا من عمر الدولة الإسلامية فى الأندلس.

وفى هذا السياق يضيف الأستاذ ليفى بروفنسال: أن قارلة كان قد فرغ حديثا من حروبه الطويلة التى اجتاح بها أجزاء كبيرة من أوروبا، وخرج من تلك الحروب منتصراً، حيث تمكن من ضم لمبارديا وسكسونيا وبافيير وبلاد الأفاريين، وامتد ملكه حتى نهر الدانوب(٥)، ولذلك طمع فى أن يتوج تلك الانتصارات بطرد المسلمين من الأندلس أو على الأقل تأمين حدود مملكته من الجار الجنوبى، وهم الأمويين فى الأندلس.

ولن نسترسل طويلا فى سرد تفاصيل المؤامرة وأطرافها، فقط اكتفينا بأهم أطرافها، بما يوضح الهدف الرئيسى من عقد هذا التحالف، فقد تم الكتابة عنها كثيرا وباستفاضة واسعة فى العديد من المصادر والمراجع، وما يهمنا فيها هو دور عبدالرحمن بن حبيب الفهرى، والذى قام بأول إنزال بحرى على شواطىء الأندلس، محاولا حصار عبدالرحمن الداخل من الجهة الشرقية للأندلس، وبقية الثوار فى الجهات الأخرى للأندلس.

وهكذا وجد عبدالرحمن الداخل نفسه محاصرا من كافة الجهات، وانه لا بد أن يحارب هؤلاء الثوار والمهاجمين فى وقت واحد، فاختار عبد الرحمن الداخل أن يبدأ بأهمهم وأخطرهم(٦)، على الأقل من وجهة نظره، فقد مثل له هذا الحصار البحرى أهمية خاصة، حيث السلاسة والسهولة فى وصول الإمدادات، وبخاصة من بلاد المغرب حيث دولة عبد الرحمن بن حبيب وأهلة وشيعته، ولكل ما سبق، أسرع عبد الرحمن الداخل بالوصول إلى حيث نزل ابن حبيب وتمكن من إحراق جميع سفنه التى رست ورابطت على الساحل الشرقى للأندلس بالقرب من مدينة بلنسية (٧).

وقد حاول ابن حبيب عندما باغته عبدالرحمن الداخل، فى وقت لم يكن يتوقعه ، الاستنجاد بحليفه، وأحد أطراف المؤامرة، حاكم مدينة سرقسطة سليمان بن يقظان الأعرابى، ولكنه تراخى فى نجدته، حتى تمت هزيمته والقضاء على أسطوله ، بل

وفر هو نفسه إلى مدينة تدمير[٨]، حيث أنصاره، واختبأ عند رجل من البربر يقال له مشكار البربرى [٩].

ويذكر صاحب أخبار مجموعة: أن ابن حبيب وثق فى هذا الرجل البربرى، وجعله على مقدمة رجاله وتوطدت العلاقة بينهما، ولكنه غدر به وقتله فى أواخر سنة ١٦٢ هـ ، ٧٧٨ م [١٠].

ويخالف المؤرخ التونسى ابن خلدون: الرأى حول وجود علاقة بين عبد الرحمن بن حبيب الصقلبى، وبين أطراف المؤامرة فى الأندلس، ويذكر أن السبب فى عبور ابن حبيب إلى الأندلس عدم اعترافه بإمارة عبدالرحمن الداخل على الأندلس، وذلك بدافع ولاءه للدولة العباسية، علاوة على وضعه المتميز كأحد زعماء الفهرية فى بلاد المغرب، ولذلك طمع فى ولاية الأندلس، وعبر البحر من إفريقية إلى الأندلس فى أسطول كبير وقوة كبيرة من البربر، ونزل بساحل مدينة تدمير (مرسية) فى شرق الأندلس، وأخذ يدعو للخليفة العباسى، وذلك سنة ١٦١ هـ / ٧٧٧ م [١١].

وبهذا النص ينفى ابن خلدون أى علاقة بين هذه الغارة البحرية على الأندلس فى عهد الداخل، وبين أطراف المؤامرة الأندلسيين، ومن جانبنا نرى أن هذا التحالف إذا كان قد تم بين كل الأطراف، فقد حتمته الظروف والمواقف التى أصبحت فيها الأندلس، علاوة على المصلحة المشتركة لكافة الأطراف ، وهو ما يدعم ما سبق أن ذكرناه حول عدم التحرك من قبل سليمان بن يقظان الأعرابى لنجدة حليفة ، عندما باغتته جيوش الداخل، وأحرقت أسطوله كاملا، بل وأجبرته على الفرار ولو كان هناك تحالفا حقيقيا، ربما لم يكن يتثاقل عن نجدته ، وتعريض التحالف لخسارة، طرف من أهم أطرافه، وعدم تركه لمصيره المحتوم أمام جيوش الداخل.

أما المستشرق الهولندى رينهارت دوزى، وحول نفس الموضوع، فيخالف بدوره ابن خلدون، ويدعم وجود علاقة بل وتنسيق بين عبور عبد الرحمن بن حبيب الفهرى

بأسطوله وبقوة من البربر إلى الأندلس، وبين المتأمرين فى الأندلس ، وعلى رأسهم سليمان بن يقظان الأعرابى [١٢].

وكيفما كان الأمر، وخلاصة القول فى تلك النقطة، هى فشل أول غارة بحرية على الأندلس، لعدة اعتبارات أهمها على الإطلاق، يقظة عبد الرحمن الداخل، ومباغتته لعدوة من حيث لا يتوقع، وقيامة بإحراق أسطول ابن حبيب، مما أحدث ارتباكا كبيرا بين صفوفه ، وتفرق أنصاره ، وقتله فى النهاية.

*** الأمير عبدالرحمن بن الحكم. (١٧٦– ٢٣٨هـ)– (٧٩٣– ٨٥٢م)**

نقفز مباشرة إلى عصر الأمير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبدالرحمن الداخل، والذى حمل لقب عبد الرحمن الأوسط ، فقد شهد عصره، أهم وأخطر الغارات البحرية على الأندلس، منذ قيام دولة بنى أمية فى الأندلس، وهو خطر النورمانديين [١٣]. وكانت هذه المرة الأولى التى تعرف فيها الأندلس، هذا الخطر البحرى، الذى باغتها دون أدنى استعداد منها، لعدة اعتبارات منها، البعد المكانى والجغرافى والبحرى بين الأندلس وهؤلاء النورمانديين الزاحفين من شمال أوروبا إلى أقصى الجنوب الأوروبى، باحثين عن الدفء ورغد العيش فى الأندلس الإسلامية.

وقد وردت تفاصيل تلك الغارات فى العديد من المصادر الإسلامية وعلى رأسها كتاب تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية، الذى يقول:– وقد ظهرت السفن النورماندية لأول مرة على سواحل الأندلس، فى يوم الأربعاء الأول من ذى الحجة ٢٢٩ هـ، ٢٠ أغسطس سنة ٨٤٤ م، وذلك عند مصب نهر التاجة *، ويقدر عدد السفن بحوالى ٥٤ سفينة ، علاوة على المراكب الصغيرة [١٤].

ويخالف ابن عذارى هذا الرقم ويقول:–إن عدد السفن التى جاء بها النورمانديون، كانت ثمانون سفينة ولكثرتها وصفها قائلا :– "كأنما ملأت البحر طيرا جونا"[١٥]، ونزلوا فى ثغر مدينة أشبونة [١٦]، واحتلوا الأماكن المنبسطة من تلك المدينة، وتصدى لهم أهل المدينة، وقاتلوهم قتالا شديدا، بقيادة والى المدينة وهب الله بن

حزم[١٧]، والذى أرسل بدوره إلى الأمير عبد الرحمن الأوسط ليعلمه بقدوم النورمان، فى تلك الغارة المفاجئة، ليتخذ الاستعدادات اللازمة للتعامل معهم.

وقد استحال تقدم النورمانديين من ثغر مدينة أشبونة، نتيجة المقاومة الشديدة من المسلمين لهم، فعادوا إلى سفنهم، وأخذوا يبحثون عن طريق بحرى أخر للنفاذ منه إلى داخل الأندلس، وكان من عاداتهم ، تقسيم أنفسهم إلى قسمين، قسم يرابط على الشاطىء، والقسم الأخر يهاجم المدينة المقصودة، ينهب ويسلب ويدمر، لبث الرعب فى قلوب أهل المدينة ، وبالفعل اتجهوا ناحية الجنوب ، ووصلوا إلى مصب نهر الوادى الكبير ، ومن مصب الوادى الكبير انقسموا إلى فريقين ، اتجه فريق منهم ناحية الجنوب بمحاذاة الساحل الأندلسى ، حتى وصل هذا الفريق إلى ساحل مدينة شذونة (١٨) ، أما القسم الأكبر والأهم فقد حط مرساه ، عند مصب نهر الوادى الكبير، واتخذ من هناك طريقه ، نحو واحدة من أهم حواضر الأندلس مدينة اشبيلية [١٩].

وخلال طريقهم إلى اشبيلية احتلوا مجموعة من المدن والقرى ، ففى ١٢ من المحرم سنة ٢٣٠ هـ ، ٢٩ سبتمبر ٨٤٤ م ، تمكنت سفنهم من احتلال جزيرة قبطيل Captel (٢٠) ، وتعرف اليوم بالجزيرة الصغرى Isla Minor ، وتمكنوا أيضا من احتلال قرية قورة Coria del Rio (٢١) ، حيث أغاروا على القرية ، واعملوا فيها القتل والنهب والسلب ، ثم تجمع الأسطول النورمندى كله بعد تلك الغارات ، بثلاثة أيام ، وساروا فى نهر الوادى الكبير ، ودخلوا مدينة طلياطة Tablada (٢٢).

ثم واصلوا التقدم نحو هدفهم الأكبر اشبيلية ، وكانت قد تحركت بعض السفن الإسلامية لمواجهتهم ، ولكن المسلمون هزموا وقتل منهم أعدادا كبيرة ، وكان ذلك يوم الأربعاء ١٤ من شهر المحرم سنة ٢٣٠ هـ ، الأول من أكتوبر سنة ٨٤٤ م، وتمكنوا من احتلال مدينة اشبيلية عنوة ، مستغلين حالة المدينة السيئة من حيث عدم وجود أسوار تحميها، وعاثوا فسادا فى المدينة ، وارتكبوا من الفظائع ، ما

سجلها المؤرخون، وقد اشعلوا النيران فى المسجد الجامع بالمدينة، فقد كانوا يحمون السهام فى النار، ويلقون بها على المسجد [٢٣].

وربما لهذا السبب أطلق المسلمون عليهم لقب المجوس ظنا منهم بأنهم يعبدون النار، وهم فى الحقيقة كانوا وثنيين، لم يعتنقوا المسيحية، التى اعتنقوها فيما بعد.

ويضيف ابن عذارى أيضا :– أن النورمانديين أقاموا فى المدينة سبعة أيام ، وفى قول أخر ثلاثة عشر يوما، خربوا المدينة وأحرقوها ونهبوها، وقتلوا أعدادا لا تحصى من سكانها، وأسروا الكثير منهم ، وبخاصة من النساء والصبيان [٢٤].

ثم تركوا اشبيلية بعد أن حملوا سفنهم بما نهبوه وسرقوه من المدينة، وحملوها أيضا بالأسرى من المسلمين، وأنزلوا كل حمولتهم من الغنائم والأسرى، على جزيرة قبطيل، التى استولوا عليها من قبل، ثم عادوا إلى اشبيلية مرة أخرى [٢٥]، والتى لم تكن إلى الأن قد شهدت أى حماية أو تدخل إسلامى من قبل الإمارة فى قرطبة. وعند عودة النورمانديون إلى اشبيلية لاستكمال ما بدأوه من تخريب لباقى المدينة، كانت البقية الباقية من أهل اشبيلية قد غادرتها، خوفا وتحسبا من عودتهم مرة أخرى، وفروا إلى مدينة قرمونة [٢٦]، وهى من المدن القريبة منها، وأيضا فروا إلى جبال اشبيلية، ولم يتبق من سكان المدينة ، سوى جماعة من شيوخ وعجائز المدينة ممن عجزوا عن النهوض والفرار، وعند دخول النورمان المدينة، تجمعوا واحتموا فى مسجد المدينة، فقتلوهم جميعا، وحمل المسجد بعد ذلك اسم '' مسجد الشهداء '' تخليدا لذكرى من قتل فيه.

وهنا تحركت الإمارة الأموية فى قرطبة، حيث استنفر الأمير عبد الرحمن الأوسط، عمال الكور فى جمع جيش، لمواجهة هذه الهجمة الشرسة للنورمانديين، فأقبلت الحشود من كل مكان إلى مدينة قرطبة، وقدم عليهم الأمير عبدالرحمن فتاه، نصر الخصى [٢٧].

وكان من كبار القادة الذين لبوا النداء من حكام الثغر الأعلى موسى بن قسى[٢٨]، الذى حضر فى جيوش كثيفة للمشاركة فى الغزو ضد النورمانديين[٢٩].

ويعلق ابن القوطية حول مشاركة موسى بن قسى، ويقول:- عند خروج النورمانديين من اشبيلية متجهين ناحية مورور(٣٠)، هزمهم موسى، وقتل منهم ستة عشر ألفا، ودخلت جيوشه إلى المدينة، وتمكنت من تحرير عامل المدينة، المحاصر فى قصبتها، ولاذ من كان فيها من النورمانديين بالفرار إلى مراكبهم ، وتجمع جميع النورمانديين الفارين على تلك المراكب الخاصة بهم (٣١).

وقد التحمت جيوش قرطبة المتجمعة مع النورمانديين ، يوم الثلاثاء ٢٥ من صفر سنة ٢٣٠هـ، الحادى عشر من نوفمبر سنة ٨٤٤ م، وهذه المرة لقى النورمانديون هزيمة ثقيلة، وقتل منهم عدد كبير، وتم إحراق ثلاثون سفينة من سفنهم (٣٢).

وقد ابتهج الناس لتلك الهزيمة، وتشفوا فى قتلهم ومثلوا بهم ، حيث علقوا عددا كبيرا منهم على جذوع النخيل، وقتل قائد النورمانديين. ويضيف ابن عذارى حول خروج النورمانديين من اشبيلية، بأنهم احتلوها لمدة ٤٢ يوما، وأن الأمير عبدالرحمن الأوسط عقب انتصاره عليهم، كتب إلى جميع الأمصار يخبرهم بهذا النصر الكبير، وكان ممن أرسل إليهم الأمير عبد الرحمن بأخبار النصر ولاة المغرب من قبيلة صنهاجة، حيث يقول '' إلى من بطنجة من صنهاجة يعلمهم بما كان من صنع الله فى المجوس، وبما أنزل بهم من النقمة والهلكة ، وبعث إليهم برأس أميرهم وبمائتى رأس من أنجادهم'' (٣٣).

ورغم الهزائم الثقيلة التى تلقاها النورمانديون، لم ييأسوا وحاولوا تعويض خسائرهم، فى غارة أخيرة قبل أن يتركوا الأندلس عائدين إلى بلادهم، حيث أغاروا على مدينة لبلة (٣٤)، وتمكنوا من سبى بعض سكانها ورحلوا منها إلى مدينة باجة، ومنها إلى مدينة أشبونة، ثم انقطعت أخبارهم تماما، حيث عادوا إلى بلادهم (٣٥).

ورغم ما عانته الأندلس من هذه الغارة النورماندية، إلا أنها خبأت بين طياتها خيرا للأندلس، والأندلسيين، وذلك من بقايا النورمانديين الذين تفرقوا فى أنحاء الأندلس عقب هزيمتهم وتشرزمهم، حيث أمر الأمير عبدالرحمن قائده محمد بن رستم(٣٦)، بملاحقة الفارين منهم، ونجح ابن رستم فى الإمساك بهم، واعتنق الكثيرون منهم

الإسلام، وكونوا مستعمرة خاصة بهم على ضفاف نهر الوادى الكبير إلى الجنوب من مدينة اشبيلية، وكانوا بارعين فى بعض الحرف والصناعات الخاصة بتربية المواشى والأغنام، وصناعة الأجبان وهى من المهن التى امتهنوها فى بلادهم الأصلية ، والعجيب أن هذه الصناعات مازالت إلى اليوم تمثل تفوقا كبيرا لسكان تلك البلاد التى كان ينحدر منها النورمانديين، ولذلك شهدت الأندلس منتجا جديدا ومتميزا على أيدى هؤلاء النورمانديين، بعد أن توطنوا واندمجوا فى المجتمع الأندلسى، وأمدوا اشبيلية ، بأفخر وأجود أنواع منتجات الألبان [٣٧].

وكان من نتائج هذه الغارة البحرية أيضا، اهتمام الأمير عبدالرحمن الأوسط، بالبحرية الأندلسية ، فقام بإنشاء دار لصناعة السفن فى عدد من المدن الأندلسية الساحلية شرقا وغربا ، وعلى رأس هذه المدن ، مدينة اشبيلية خوفا وتحسبا من عودة النورمانديين لمهاجمة المدينة مرة أخرى ، وقد كان هذا الأسطول له دور كبير فيما بعد، فى وقف المد الشيعى ، ووقف الخطر الفاطمى الزاحف إلى الأندلس ، لاحقا فى عصر الخلافة [٣٨].

وقد قام الأمير عبدالرحمن الأوسط ، وبناء على نصائح بعض المقربين له، بالإسراع فى بناء وتحصين سور ومدينة اشبيلية ، حيث كان مشغولا عند هجوم النورمانديين ببناء الزيادة الخاصة به فى المسجد الأموى الجامع بمدينة قرطبة ، فطلب منه مستشاروه ، الاهتمام ببناء سور مدينة اشبيلية ، وهو عمل مقدم، على بناء زيادته فى الجامع الأموى، وبنى السور بالحجارة فى سنة ٢٢٦ هـ – ٨٤٠م، وكان الذى أشرف على بناء السور المهندس الشامى عبدالله بن سنان، وهو من المقربين للأمير عبدالرحمن الأوسط، منذ كان غلاما صغيرا، فهو من عداد الموالى الأمويين، الذين اعتمدت عليهم الدولة الأموية، وبخاصة فى عصر الإمارة، فأوكل إلية الأمير عبدالرحمن هذا الأمر المهم ، وقام به على أكمل وجه، وتخليدا لهذا العمل، قام بنقش اسمه على أحد أبواب سور مدينة اشبيلية[٣٩].

وفى ختام تلك الأحداث الخاصة بغارات النورمانديين على الأندلس، لا بد من الإشارة إلى تلك السفارة المهمة التى اختتمت بها تلك الغارات، وأهم أحداثها، وهل شكلت فترة هدنة حقيقية، بين الأندلس والنورمانديين، أم كانت مجرد سفارة شكلية، وعلاقة دبلوماسية ، لم تقدم أى جديد، أو تعاون بين الأندلس والنورمانديين.

كانت تلك السفارة الغريبة، التى أعقبت هذه الغارة قد تمت بين الطرفين بطلب من النورمانديين أنفسهم كما جاء فى الكتابات التى تناولتها، حيث بادروا هم أولا بإرسال سفارة إلى الأندلس لطلب الود والصلح والهدنة من أمير الأندلس، فقام الأمير عبدالرحمن الأوسط بدوره بالرد على سفارتهم ، بسفارة دبلوماسية شهيرة، أرسل فيها، أحد أهم شعراء وأدباء الأندلس على عصره ، وهو الشاعر يحيى الغزال (٤٠).

وقد وردت تفاصيل تلك السفارة المثيرة للجدل، من حيث الهدف والتوقيت، فى أعقاب هذه الغارة المباغتة التى كلفت الأندلس خسائر كبيرة فى الأرواح والممتلكات، رغم الانتصار الكبير الذى انتهت به، من تشتيت هؤلاء المهاجمين ، وردت تفاصيلها لأول مرة فى كتاب ابن دحية، "المطرب فى أشعار أهل المغرب"، وهو أول من وثق تفاصيلها، ثم تناقلتها بعده العديد من المصادر العربية والغربية.

وفيما جاء من تفاصيل حول هذه السفارة، يقول أبو الخطاب عمر بن أبى الحسن بن دحية البلنسى:- أن السفارة خرجت وعلى رأسها الشاعر يحيى الغزال، واتخذوا الطريق البحرى على شواطىء الأندلس الغربية، فى المحيط الأطلسى عن طريق مدينة شلب(٤١) الساحلية، وكانت السفارة الإسلامية ترافق وتتبع طرق النورمانديين فى طريق عودتهم، حيث هم أدرى بطريق العودة، علاوة على مهاراتهم الفائقة فى التعامل مع أهوال وأخطار بحر الشمال، حيث بلادهم، وقد تم إعداد سفينة خاصة لهذا الغرض، حملت الهدايا والقائمين عليها. ويسترسل ابن دحية فى وصف الأخطار التى قابلت طريق الذهاب إلى بلاد النورمان، وكيف تمكن

البحارة من التعامل مع تلك الأخطار حتى وصلوا سالمين، وجاء فى وصف بلاد النورمان، والتى يطلق عليها بلاد المجوس، بأنها عبارة عن جزيرة عظيمة داخل البحر المحيط، وتحيط بهذه الجزيرة، مجموعة كبيرة أيضا من الجزر، ويعتنق جميع سكان هذه الجزر الديانة المجوسية [٤٢].

والحقيقة ربما أكون قد أطلت قليلا فى وصف السفارة، والعلاقات بين المسلمين فى الأندلس والنورمان، وذلك توضيحا لم سيرد فى النقاط التالية من معاودة النورمان لمهاجمة سواحل الأندلس مرة أخرى، وبعد مدة وجيزة فى عهد ولى عهد الأمير عبد الرحمن وهو ولده الأمير محمد.

الأمير محمد بن عبد الرحمن. (٢٠٧ – ٢٧٣ هـ) – (٨٢٣– ٨٨٦ م).

لم تختلف الروايات الإسلامية كثيرا فى تناول ثان هجوم نورماندى على الأندلس، فى عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن، حيث أغاروا على الأندلس فى عام ٢٤٥ هـ – ٨٥٩ م [٤٣]، ونزلوا أيضا على الشاطىء الغربى للأندلس، وقدرت الرواية الإسلامية أسطولهم هذه المرة بنحو اثنين وستين مركبا، وكانت السفن الإسلامية هذه المرة فى انتظارهم، وعلى أتم الاستعداد للتعامل معهم، حيث كانت البحرية الأندلسية، ومنذ الغارة السابقة فى حالة استعداد دائم، تتجول فى المياه الغربية بصفة مستمرة، استعدادا لأى غارة جديدة منهم، ولكن رغم كل تلك الاستعدادات تمكنت سفن النورمانديين، من الزحف جنوبا قبالة سواحل مدينة باجة. وهنا تصدت لها السفن الأندلسية، واستطاعت القضاء على طلائع سفنهم الأولى التى وصلت إلى هذا المكان، وأخذت منهم سفينتين محملتين بالغنائم والسبى ، ورغم ذلك باغت النورمانديون السواحل الجنوبية ، واستطاعوا الوصول إلى هدفهم الأهم، وهو مصب نهر الوادى الكبير، ولكنهم غيروا وجهتهم مرة أخرى إلى أقصى الجنوب، حتى وصلوا مياه مدينة الجزيرة الخضراء [٤٤].

وهنا أمر الأمير محمد بن عبد الرحمن قواده البحريين ، أميرى البحر حشحاش وابن شكوح [٤٥]، بالتقدم بالأسطول إلى الشواطىء الغربية والشرقية للأندلس،

وتتبع هؤلاء الغزاة، وتم تجهيز الأسطول الإسلامى بأحسن ما يكون ، من حيث الأنفاط، وفرق الرماة الكثيرة، وتمكن الأسطول الإسلامى من طرد النورمانديين من اشبيلية بعد معارك بحرية، تفوق فيها الأسطول الإسلامى، ثم دارت بين الفريقين معركة بحرية كبيرة فى الجنوب الأندلسى قبالة شواطىء مدينة شذونة، بدأها المسلمون بالنصر حيث غنموا مركبين من النورمانديين ، ولكن النورمانديين تكاثروا على الشطر الذى يقوده أمير البحر حشحاش ، وتمكنوا من هزيمته ، بل وقتل أمير البحر حشحاش فوق سفينته وعقب هذه الهزيمة، توجهوا إلى مدينة الجزيرة الخضراء ، ودخلوها عنوة، وقاموا بإحراق مسجدها الجامع ، وعاثوا فى المدينة قتلا ونهبا وسبيا (٤٦).

وبذلك تمكن النورمانديون من التمركز بشاطىء الأندلس الجنوبى ، ومنه انطلقوا إلى السواحل الشرقية للأندلس ، ووصلوا إلى ساحل مدينة تدمير ، ودخلوا قاعدتها مدينة أوريولة ، وعاثوا فيها أيضا نهبا وسلبا ، ودارت معارك عنيفة بينهم وبين المسلمين ، قتل فيها الكثير من المسلمين ، وعاثوا فسادا شهورا ، حتى تمكن المسلمون من إضعافهم بالمعارك المتواصلة معهم ، والتى فقدوا فيها الكثير من سفنهم، فما كان منهم فى النهاية سوى ، الارتداد من حيث أتوا، إلى الشمال، حيث فتحوا لأنفسهم مجال جديد للالتحام بالممالك المسيحية الموجودة فى شمال إسبانيا (٤٧).

وانتهت هذه الغارة النورماندية على الأندلس بأقل الأضرار ، فلم يكن لها تأثيرا كبيرا كسابقتها نتيجة الاستعدادات التى اتخذت من قبل الأمير محمد بن عبدالرحمن، حيث لم يكن عنصر المفاجأة الذى تميزت به الغارة الأولى متوافرا ، علاوة على تتبع الأسطول الإسلامى لهم ، من السواحل الغربية إلى الجنوبية إلى الشرقية، ورغم الخسائر التى منى بها المسلمون فى بعض المعارك، ولكن لطول الصبر والمثابرة فى إضعافهم، لم يجد النورمانديون أمامهم، فى نهاية المطاف، سوى الرحيل إلى الشمال ، وترك السواحل والمدن الأندلسية.

ثانيا :– عصر الخلافة. (٣١٦ – ٤٢٢ هـ) – (٩٢٩ – ١٠٣١ م).

الخليفة عبدالرحمن الناصر. (٢٧٧ – ٣٥٠ هـ) – (٨٩١ – ٩٦١ م).

اختلفت الغارات البحرية على الأندلس فى عصر الخلافة، والذى بدأ بأول وأهم خلفاء الأندلس، وهو الخليفة عبدالرحمن الناصر، فقد أصبح العدو البحرى للأندلس على الجانب الأخر للشواطىء الأندلسية والمقصود هنا الجانب الجنوبى، وبالتحديد فى المغرب الأدنى (تونس الحالية)، حيث قامت الخلافة الفاطمية بها، وأصبح المد الشيعى والخطر الفاطمى، هو العدو الأول والمتربص بالأندلس ، فلم يكد الخليفة عبدالرحمن الناصر، والذى بدأ الشطر الأول من ولايته ، يتخلص من المخاطر الداخلية فى دولته، علاوة على الخطر النصرانى فى الشمال حتى أرقته مشكلة الفاطميين، الذين تمددوا بسرعة كبيرة فى بلاد المغرب، وتمكنوا من القضاء على كل الدويلات المستقلة التى قامت قبلهم فى بلاد المغرب ، وأخذوا يتطلعون إلى العبور إلى الأندلس.

ولن نسترسل كثيرا فى مراحل الصراع بين الفاطميين وخليفة الأندلس ، فقط نشير إلى ما يخدم البحث ، وهى الغارات البحرية التى شنها الفاطميون على ثغور الأندلس ، والمغزى منها ، وكيف تصدى لها الناصر ، ولكن الحقيقة التاريخية ، تؤكد أن عبدالرحمن الناصر ، كان هو البادىء بالهجوم على قواعد الفاطميين ، فى بلاد المغرب ، متبعا المقولة التاريخية الشهيرة ، خير وسيلة للدفاع هو الهجوم ، وهو ما جعل الفاطميون بدورهم لا يدخرون وسعا فى إرسال أساطيلهم إلى الأندلس.

ويذكر الدكتور/ أحمد مختار العبادى، فى معرض حديثه عن مباغتة الناصر للفاطميين على أرض المغرب ويقول:– أمر الناصر بإرسال الأسطول ، إلى مضيق جبل طارق، وذلك فى بداية توليه سنة ٣٠٢ هـ – ٩١٤ م، وكان الهدف من ذلك فى تلك الفترة المبكرة ، منع التحالف بين الفاطميين ، وأخطر الخارجين

على الإمارة فى ذلك التوقيت ، عمر بن حفصون (٤٨)، حيث كان الفاطميون يواصلون إرسال الإمدادات لابن حفصون من ساحل إفريقيا الشمالية[٤٩].

أما أهم غارة بحرية على الأندلس من قبل الفاطميين، فقد حدثت فى عهد أخر خلفاء الدولة الفاطمية فى بلاد المغرب، وأول خلفاءها فى مصر، المعز لدين الله الفاطمى[٥٠]، والذى بلغت الدولة الفاطمية سواء فى شطرها المغربى، أو فى شطرها المصرى،أوج مجدها، وذلك فى سنة ٣٤٤ هـ – ٩٥٥م، حيث خرجت مجموعة من سفن الأسطول الفاطمى، وأغارت على أحد أهم ثغور الأندلس، وهو ثغر مدينة المرية [٥١]، وقامت بإحراق السفن الأندلسية الراسية في الميناء ، بل وقاموا بسلب المدينة وأسروا عددا من سكانها [٥٢].

فرد عبدالرحمن الناصر بإرسال قوة بحرية إلى الشواطىء التونسية سنة ٣٤٥ هـ – ٩٥٦ م، حيث مقر الدولة الفاطمية ، فعاث فيها بدوره ، وأغار على عدد ستين سفينة، وذلك فى مرسى منطقة سوسة [٥٣]، وهو المكان الرئيسى لمرابطة الأسطول الفاطمى فى بلاد المغرب ، وظل الأمر سجالا بين الطرفين ، ولم ينته ، إلا بتوجه الفاطميين إلى مصر.

الخليفة الحكم المستنصر بالله. (٣٠٢ – ٣٦٦ هـ) – (٩١٥ – ٩٧٦ م).

هدأت الغارات البحرية النورماندية على الأندلس ، فترة من الزمن ، منذ التصدى الأخير لهم، والصبر على مباغتتهم للشواطىء الأندلسية مرة ثانية ، فى عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن ، والحقيقة أن هذا الهدوء النسبى ، ربما يكون السبب الأول له، انشغال النورمان بفتح جبهة جديدة لغزواتهم مع ملوك الفرنجة ، إلى أن عادوا للظهور مرة جديدة على الشواطىء الأندلسية.

ففى أواخر سنة ٣٥٥ هـ – ٩٦٧ م ، ظهرت مرة أخرى سفن النورمان ، فى مياه الشاطىء الغربى الأندلسية [٥٤]، ويحدد ابن خلدون تاريخا مختلفا لهذه الغارة وهو سنة ٣٥٤ هـ – ٩٦٦ م [٥٥].

أما ابن عذارى فيذكر فى أحداث هذه الغارة : أن الأخبار جاءت إلى الحكم المستنصر، من مدينة قصر أبى دانس (٥٦)، والتى تقع على الشواطىء الغربية للأندلس ، وذلك بظهور أسطول المجوس ، بالقرب من سواحل المدينة ، وكانوا هذه المرة من نورمان الدنمارك ، وخاف الأندلسيون ساكنى هذا الساحل الغربى ، أن يكون مصيرهم مثل مصير أهل اشبيلية من قبل ، وكان عدد مراكبهم ثمانية وعشرون مركبا، وأن النورمانديين تمكنوا من الزحف شمالا حتى وصلوا إلى بسائط مدينة أشبونة الغنية اليانعة ، وعاثوا فيها تخريبا وسلبا ونهبا ، وهنا خرج إليهم المسلمون لملاقاتهم ، ودارت حرب طاحنة بين الطرفين، استشهد فيها من المسلمين عددا كبيرا ، نتيجة عدم الإعداد الكافى، نظرا لمفاجئة النورمانديين كعاداتهم لسواحل الأندلس، وهنا كان قد وصل أسطول اشبيلية، الذى خرج من المدينة، عبر نهر الوادى الكبير، بقيادة أمير البحر فى عصر الخلافة، القائد عبد الرحمن بن رماحس (٥٧)، والذى أسرع فى السير إلى الشاطىء الغربى لنجدة المسلمين هناك، ووقع اللقاء الفاصل بين الإسطول الإسلامى والأسطول النورمانى عند مصب نهر وادى شلب، وتمكن المسلمون من تحطيم عدد من سفن النورمان، وكان النورمان قد حملوا العديد من المسلمين كأسرى ، وأيضا تمكن أسطول اشبيلية من تحريرهم، وقتل كثير من النورمانديين ، وفروا منهزمين، متربصين فى سفنهم بالسواحل الغربية للأندلس ، والمسلمون فى آثارهم، متحفزين لأى معاودة منهم ، وأمر الخليفة الحكم المستنصر ، بحشد السفن الإسلامية فى نهر الوادى الكبير ، لحماية العاصمة ، مدينة قرطبة (٥٨).

ثم مضت بضعة أعوام قبل أن يعاود النورمانديون هجومهم مرة أخرى على الأندلس فى عصر الخليفة الحكم المستنصر، وذلك سنة ٣٦٠ هـ – ٩٧١ م ، وأيضا على نفس الناحية الغربية للأندلس، والتى أغرتهم كثيرا ، نظرا لم تتمتع به من رخاء اقتصادى لا يتوافر فى بلادهم الباردة القاحلة.

والرواية هذه المرة جاءت عن ابن حيان فى القطعة الخاصة بعصر الحكم المستنصر : حيث أسهب ابن حيان فى سرد تفاصيل تلك الغارة ، والاستعداد لها ، لرد غارة النورمان من قبل الحكم المستنصر ، حيث استنفر كل رجال دولته تقريبا ، كل فيما يخصه للاستعداد لهذا الحدث الجلل.

ويذكر ابن حيان :- أن الغزوة الثانية للنورمان على شواطىء الأندلس ، فى عهد الحكم المستنصر، كانت فى صدر شهر رمضان من سنة ٣٦٠ هـ - ٩٧١م ، ويقول:- '' وقع الإرجاف بتحرك المجوس الأردمانيين ـ لعنهم الله ـ وظهورهم فى البحر الشمالى، وورومهم ـ يقصد طلبهم ـ سواحل الأندلس الغربية على عادتهم ، فانزعج السلطان لما سيق إليه خبرهم ''، تلك كانت المقدمة التى كتبها ابن حيان شارحا، حال الأندلس عند وصول خبر نزول النورمان على شواطئها [٥٩].

وعقب علم الحكم المستنصر، مباشرة بنزول النورمان عهد إلى عبدالرحمن بن رماحس، قائد البحرية الأندلسية، وأمره بالتوجه من مدينة قرطبة إلى مدينة المرية، ومنها التأهب للركوب إلى ناحية الغرب، فنفذ الأمر ليومه، وذلك يوم الإثنين لست خلون من شهر رمضان المؤرخ لنفس السنة، وقام الحكم أيضا بإحضار الوزير القائد غالب بن عبدالرحمن[٦٠]، وكان حاضرا يومئذ بقرطبة ، وحدثه وتشاور معه فى خبر هذا العدو، المرهوب جانبه، ودعاه إلى التوجه إلى العدو، وأرسل له جنود إحدى الصوائف التى كانت قريبة من المكان الذى وجهه إليه، وقلده جميع الأمور البرية والبحرية الخاصة بالاستعداد لمواجهة هذه الغارة ، لثقته به وبقدرته الحربية وخبرته الواسعة وكفايته وكفاءته فى مواجهة العدو [٦١].

ويسترسل ابن حيان فى سرد تفاصيل هذه الغارة ويقول : إن الخليفة الحكم المستنصر حدد لقائده غالب، حدودا للتعامل مع العدو فى هذه الغزوة ، وأمره بالالتزام بها، والوقوف عليها وبعد أن رسم له الخطة، استودعه الله، وأمره بالنهوض من فوره والتجهز للانطلاق إلى مقصده، وهو يشيعه بدعائه ، ويسأل الله له وللمسلمين حسن العاقبة ، فلما كان يوم الخميس من شهر رمضان من

نفس السنة ٣٦٠ هـ، أمر الحكم ، درى الصغير خازنه ، بالعمل والتعجيل بإرسال كل ما يلزم إلى القائد غالب ، كما أمر صاحب الحشم [٦٢] ، وهو الوزير محمد بن قاسم بن طملس [٦٣]، وأمر الحكم أيضا صاحب الخيل والحشم زياد بن أفلح[٦٤]، بإخراج القطع الثلاث ، وهى عبارة عن راية الأمويين ، وكانت تسمى العقدة[٦٥] والعلم والشطرنج [٦٦].

وأحضر الحكم أيضا دريا المعروف بابن عقبة، وهو عريف الخياطين، أى كبيرهم، وأمره بعقد هذه الأعلام فى قنواتها، أى وضعها فى مكانها بالطريقة المناسبة.

ثم أحضر أمام الخليفة الحكم المستنصر بالله، القاضى محمد بن يوسف، قاضى مدينة قبرة [٦٧]، وذلك كى يؤم المسلمين فى صلاة النافلة فى شهر رمضان ، والتى ضمت الخليفة شخصيا، وجموع من الموذنين، وكان الهدف منها الدعاء والابتهال إلى الله لنصرة ، الخارجين إلى ملاقاة العدو.

وبدأت طقوس تسليم اللواء أى العلم ، إلى ابن عقبة والذى ما إن استلمه، حتى اندفع القاضى محمد بن يوسف ، والحشود التى وراءه فى قرأة سورة '' إنا فتحنا لك فتحا مبينا '' [٦٨]، حتى قرأها كاملة ، وفى أثناء ذلك كان ابن عقبة عريف الخياطين، كان قد انتهى من عقد العلم فى مكانه ، وتم رفع العلم فى حضرة الأئمة والمؤذنين وجميع الشهود ، ممن حضر هذا المشهد الخاص بهذا الموقف ، وقام الجميع فى نهاية هذا الاحتفال الدينى، بالتهليل والتكبير والتحميد والجمع قد غشيتهم ، حالة من الخشوع والخضوع والابتهال بالدعاء ، والاجتهاد فى الدعاء لله سبحانه وتعالى. ثم نهض الخليفة بمن معه من كبار رجالاته ، بالخروج إلى باب السدة [٦٩] مواصلين التكبير.

وخرج فى أثر الخليفه قائداه ابن طملس وابن أفلح. وكان قد رتبا طوائف الجند، فى كامل عدتهم وعددهم ، والجميع شاكى [٧٠] الأسلحة، أى متوشحين الأسلحة الكاملة ، '' ظاهرى الأهبة ''، أى على أتم الإستعداد، رائعى الزينة حتى انتهوا

إلى باب الوزير غالب بن عبدالرحمن وكان فى انتظارهم، متلبب*، مستعد للانطلاق إلى حيث أمر، فلما وصلت إليه تلك الحشود الكبيرة، إستوى على صهوة فرسه ثم فصل للغزو وبين يديه كل تلك الحشود المعدة إعدادا جيدا ، ولكثرة تلك الحشود غصت وازدحمت بهم الطرق ، وذهب لملاقاة العدو(٧١).

والعجيب هنا، بعد هذا الاسهاب والشرح الوافى من ابن حيان فى وصف كل تلك الاستعدادات الكبيرة التى تم اتخاذها، لصد هذه الغارة النورماندية، نراه يقطع حديثه عنها بعد خروج غالب بالجيش مباشرة ، ولا يعود كعادته فى مواصلة التفاصيل والنتائج ، ولم يذكر لنا هل حدث اشتباك بين الطرفين أم لا ، ونستشف من صمت ابن حيان ، أن النورمانديين ، ربما علموا بخروج تلك الحشود ، فآثروا الانسحاب ، حيث أعيتهم المعارك المتواصلة ، علاوة على تقديرهم لقوة المسلمين التى لا قبل لهم بها ، بعد كل تلك الإعدادات.

ويؤيد رأينا هذا ، العثور على نص لاحق ، فى نفس القطعة الخاصة بالحكم المستنصر لابن حيان ، تكمل ما بدأه سابقا، حول تلك الغارة النورماندية ، وذلك فى معرض حديثه عن ترميم قنطرة قرطبة ، نراه يعرج بالحديث عن الخروج الفعلى لتلك الغزوة، وذلك يوم الإثنين لأربع بقين من شهر ذى القعدة سنة ٣٦٠ هـ - ٩١٧ م، وذلك عندما جاء الخبر إلى الحكم ، بإقلاع صاحب الشرطة العليا قائد البحر عبدالرحمن بن محمد بن رماحس من مدينة اشبيلية، بالإسطول متجها إلى مدينة المرية ، لمواجهة النورمانديين، ''الظاهرين فى البحر الشمالى''، وكان فى أثناء ذلك تتواصل الأنباء ، إلى مدينة قرطبة بهزيمة النورمانديين وهربهم ، بعد إقدامهم فى بداية تلك الغارة البحرية ، وذلك بحسن ثبات المسلمون، ودفاعهم عن أراضيهم. وتواصلت الأنباء إليهم بحسن استعدادات الحكم، وكثرة الحشود التى تم استنفارها، وإرسالها للزود عنهم ، وتنصيب أحد أهم قواد الحكم وإرساله إليهم ، وهو القائد غالب بن عبدالرحمن، مدبر حروب الحكم، وهو الذى تولى مهمة قيادة الجيوش البرية ، ونهوض القواد بالأساطيل البحرية،

المحملة بالجنود، والأسلحة الثقيلة، التى شدت من أزر المسلمون، وفى نفس الوقت فتت فى عضد النورمانديون، عند سماعهم بتلك الحشود الكبيرة، أو كما ذكر ابن حيان حالة النورمانديون قائلا:– ''لم يجد أعداء الله ، عند سماعهم بها، من نفوسهم معينا على التعرض لملاقاتها والانبساط على السواحل التى أحسوا بهم فيها، فولوا على أعقابهم ناكصين، ومما رجوه من انتهاز فرصة من المسلمين خائبين '' (٧٢).

بهذا النص ، حسم ابن حيان ، موقف النورمانديون من عدم الاشتباك فى هذه الغارة ، وفضلوا الإحجام والتراجع ، وعدم الاشتباك فى معركة ، معروفة نتيجتها مسبقا ، نظرا للإعدادات الهائلة التى صاحبتها.

ويبدو أن هذه الغارة ، وما صاحبها من انكسار لشوكة النورمان ، قد وعوا منها الدرس جيدا فى عدم جدوى غاراتهم على الأندلس ، فقد كانت خاتمة غاراتهم فى عصر الخلافة ، وإن كانوا قد عاودوا الغارات مرة أخرى فى العصور اللاحقة بدأ من عصر الطوائف، ولكن إحجامهم حتى نهاية عصر الخلافة ، يؤيد رأينا ، حول تماسك وقوة الدولة الأموية فى عصريها الإمارة والخلافة ، مما مكنها من الدفاع عن الحدود البحرية المترامية الأطراف ، بأقل الخسائر الممكنة ، وجعل أيضا أعدائها البحريين على تنوعهم يفكرون كثيرا قبل القيام بأى مغامرة بحرية على شواطىء الأندلس .

الهوامش والحواشى:–

(١) تعددت الخلافات فى العالم الإسلامى وشهد القرن الرابع الهجرى ، العاشر الميلادى ، ثلاث خلافات متعددة المذاهب الفقهية ، وقد أفتى بعض علماء المسلمين ، بجواز تعدد الخلافات تبعا لاتساع رقعة العالم الإسلامى، ولكن فى بداية إحياء الدولة الأموية فى الأندلس، كان المزاج العام لا يسمح بالتفكير فى تعدد الخلافات، كما يذكر ابن خلدون فى مقدمته، حول هذا الموضوع ويقول عن أمراء بنى أمية الأوائل : '' تلقبوا كسلفهم مع ما علموه من أنفسهم من القصور عن ذلك ، بالقصور عن ملك الحجاز أصل العرب والملة، والبعد عن دار الخلافة التى هى مركز العصبية ، وأنهم إنما منعوا بإمارة القاصية أنفسهم عن مهالك بنى العباس ''. ابن خلدون : (عبدالرحمن بن محمد بن خلدون ، ولى الدين الحرمى الإشبيلى) ٧٨٤–٨٠٨هـ/١٣٣٢–١٤٠٦م، المقدمة ، طبعة بولاق ، ١٢٨٤ هـ– ١٨٧٦ م ، ص١٩٠.

(٢) عبد الرحمن بن حبيب الفهرى الصقلبى : هو والى المغرب ، بعد أن وثب على واليها صفوان بن حنظلة، وأحد أحفاد فاتح بلاد المغرب عقبة بن نافع الفهرى ، كان صهرا ليوسف الفهرى أخر ولاة الأندلس، قبل دخول عبدالرحمن الداخل إلى الأندلس ، وقد حمل لقب الصقلبى لأنه كان طويلا ، أشقر البشرة والشعر، أزرق العينين ، أمعر. للمزيد حوله راجع:– مجهول : أخبار مجموعة فى فتح الأندلس، نشر / دون لافونتى القنطرة ، من مجموعة Obras Arabigas ، الأكاديمية التاريخية الملكية، الجزء الأول، مدريد، ١٨٦٧م ، ص ٢٠١. ابن عذارى : (أبو عبدالله محمد بن عذارى المراكشى) عاش حتى ٧١٢ هـ – ١٣١٢م، البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ، نشر / ليفى بروفنسال ، بيروت ، ١٩٥٠م ، الجزء الثانى، ص ٨٣.

(٣) مدينة تدمير : كورة تتصل بكورة جيان، إلى الشرق من مدينة قرطبة ، فيها معاقل ومدن ورساتيق، وبين تدمير وقرطبة سبعة أيام للراكب القاصد. الحموى : (شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبد الله الرومى الحموى) ت ٦٢٦ هـ ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٦٤م ، الطبعة الأولى، الجزء الثانى، ص ١٩.

(٤) قارلة أو شارلمان بن بيبن: هو شارلمان أو كارل الكبير، وقد أطلقت عليه الرواية الإسلامية لقب ''قارلة ''، عاش فيما بين (٧٤٢ – ٨١٤م)، وهو أحد أهم ملوك

الفرنجـة، حكـم إمبراطـوريتهم فيمـا بـين أعـوام (٧٦٨ – ٨٠٠)، وحمـل لقـب إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة فيما بين أعوام (٨٠٠-٨١٤م).

http://ar.unionpedia.org/%D8%B4%D8%A7%D8%B1%D9%84%D9%85%D8%A7%D9%86

وقد تعددت أسماؤه فى كل اللغات ، فيكتب بالفرنسية Charlemagne ، أما بالألمانية فيكتب كارل الكبير ويعتبر بيبين القصير الذى حكم فيما بين أعوام (٧٥١ – ٧٦٨م)، هو مؤسس حكم الأسرة الكارولنجية، ويعتبر ابنه شارلمان ، هو أعظم ملوك هذه الأسرة على الإطلاق ، وأول من تم تقديسه من أباطرة الرومان. للمزيد راجع:-

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B4%D8%A7%D8%B1%D9%84%D9%85%D8%A 7%D9%86

(٥) Leve Provencal : Histoire de L Espagne Musulmane . Leiden . 1950 . T:1 . P120.

(٦) ابن عذارى : نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٨٣.

(٧) مدينة بلنسية : من أهم مدن الأندلس ، تقع إلى الشرق من مدينة تدمير ، إلى الشرق من قرطبة، وهى مدينة برية وبحرية ، تكثر بها الأشجار والأنهار ، وعرفت بمدينة التراب. الحموى : معجم البلدان ، ج١، ص، ٤٩٠.

(٨) ابن عذارى : نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٨٣.

(٩) مشكار البربرى : لم أعثر له على ترجمة فى كتب التراجم.

(١٠) مجهول : أخبار مجموعة ، ص ١١١.

(١١) ابن خلدون : (عبدالرحمن بن محمد بن خلدون) ت ٨٠٨ هـ – ١٤٠٦ م ، تاريخ ابن خلدون أو كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، فى أخبار ملوك العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ، طبعة بولاق ، ١٢٨٤ هـ ، ١٨٧٦ م ، ج٦ ، ص ١١١.

(١٢) Dozy (R): Histoire des Musulmans D Espagne Jusqu a La Conquete des ALmoravides (Ed. Leve Provencal, 1932) Vol 1 . P 240 . 241.

(١٣) النورمانديون : Normanen أو Norsmen، اشتهروا ببراعتهم فى خوض أهوال البحار فى فترة العصور الوسطى، اتصفت غاراتهم البحرية بالمباغتة والسريعة والتخريبية ، وأطلقت الرواية الإسلامية عليهم اسم المجوس ، أو الأردمانيين أو النورمانيين ، ظهرو على شواطىء الأندلس لأول مرة سنة ٨٤٣ م ٢٢٩ هـ ، وتعود

أصولهم الأولى ، وموطنهم الأصلى ، إلى شمال أوروبا ، الدول الاسكندنافية ، وعلى رأسها الدنمارك ، وأيضا شواطىء ألمانيا الغربية. للمزيد راجع :-

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%86%D9%88%D8%B1%D9%85%D8%A7%D9%86

(١٤) ابن القوطية : (أبو بكر محمد بن عمر القرطبى) ت ٢٦٧ هـ، تاريخ افتتاح الأندلس، نشر / دون خوليان ريبيرا ، مدريد ، ١٩٢٦ م ، ص ٦٦.

(*) ونهر التاجة: هو نهر يجري بشبه جزيرة الأندلس ، ويمر بكل من إسبانيا والبرتغال. ينبع تاجه بجبال ابن رزين بتيروال بمنطقة أراجون. يعبر تاجه العديد من المدن منها: آرنخويث، طليطلة، طلبيرة، قنطرة السيف، في إسبانيا وشنترين ولشبونة في البرتغال. وتاجه هو أطول الأنهار على جزيرة الأندلس. وطوله ١٠٣٨ كلم، منها ٧١٦ كلم في إسبانيا، و ٤٧ كلم على الحدود بين إسبانيا والبرتغال وباقي ٢٧٥ كلم في البرتغال. وتاجه يستنزف مساحة ٨٠١٠٠ كيلومتر مربع. اليوم ينظم سد قنطرة السيف كثيرا من تدفق النهر. راجع موقع :

http://ar.unionpedia.org/%D9%86%D9%87%D8%B1_%D8%AA%D8%A7%D8%AC%D8%A9

(١٥) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٢ ، ص ١٣٠.

(١٦) أشبونة : Lisbonne ، هى بالأندلس من كور باجة المختلطة بها ، وهى مدينة على طريق العساكر ، فأن الطريق من باجة إلى الأشبونة يعترض مدينة الأشبونة ، والأشبونى بغربى باجة ، وهى مدينة قديمة على سيف البحر تتكسر أمواجه على سورها ، وأسمها قودية ، وسورها رائق البنيان ، بديع الشأن ، وبابها الغربى قد عقدت عليه حنايا فوق حنايا على عمد من رخام مثبتة على حجارة من رخام ، وهو أكبر أبوابها، ولها باب غربى أيضا يعرف بباب الخوخة ، مشرف على سرح فسيح يشقه جدولا ماء بصبان فى البحر، ولها باب قبلى يسمى باب البحر تدخل أمواج البحر فيه عند مدة وترتفع فى سورة ثلاث قيم ، وباب شرقى يعرف بباب الحمة ، والحمة على مقربة منه ومن البحر بمائين :- ماء حار وماء بارد ، فإذا مد البحر واراهما، وباب شرقى أيضا يعرف بباب المقبرة. المدينة فى حد ذاتها حسنة ممتدة مع النهر لها سور وقصبة منيعة، والأشبونة على نحر البحر المظلم، وعلى ضفة البحر من جنوبه ، قبالة مدينة الأشبونة حصن المعدن ، ويسمى بذلك لأن عدد هيجان البحر يقذف بالذهب التبر

هناك ، فإذا كان الشتاء، وهو من عجائب الأرض. ومن مدينة الأشبونة كان خروج المغررين فى ركوب بحر الظلمات ، ليعرفوا ما فيه وإلى أين انتهاؤه ، ولهم بأشبونة موضع بقرب الحمة منسوب إليهم يعرف بدرب المغررين. الحميرى : (أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبدالمنعم الحميرى) ت ٩٠٠هـ – ١٤٩٥م ، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق : د/ إحسان عباس . نشر : مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت ، طبع على مطابع دار السراج ، الطبعة الثانية، ١٩٨٠ م ، ص ٦١.

(١٧) وهب الله بن حزم : هو عامل مدينة أشبونة ، عند هجوم النورمان على السواحل الأندلسية ، ولشبونة هى من أهم ثغور الأندلس ، فى الجهة الغربية ، وهى عاصمة دولة البرتغال الحالية. والحقيقة لم أعثر على ترجمة خاصة له فى كتب التراجم.

(١٨) كورة شذونة : ''بالأندلس ، وهى كورة متصلة بكورة مورور ، وعمل شذونة خمسون ميلا فى مثلها، وهى من الكور المجندة ، نزلها جند فلسطين من العرب ، وكورة شذونة كورة جليلة القدر، مجتمعة لخيرات البر والبحر ، كريمة البقعة ، عذبة التربة ، يفيض مياهها بلا ندوى مع المحل ثمارها ، وقد لجأ اليها عامة أهل الأندلس سنة ١٣٦ هـ ، وكانت الأندلس قد قحطت ستة أعوام. ومن كور شذونة شريش وغيرها. وفيها كانت الهزيمة على لزريق حين افتتحت الأندلس سنة ٩٢ هـ ''. الحميرى: الروض المعطار، ص ٣٦.

(١٩) اشبيلية : من أكبر مدن الأندلس ، كانت تسمى حمص ، وفيها كانت قاعدة ملك الأندلس وسريره ، تقع إلى الغرب من قرطبة ، على بعد ثلاثين ميلا. للمزيد راجع :– الحموى : معجم البلدان ، ج١، ص ١٩٥.

(٢٠) قبطيل Captel : '' بالأندلس ، هو مفرغ وادى طرطوشة فى البحر ، ويعرف أيضا بالعسكر لأنه موضع عسكر به المجوس ، واحتفروا حوله خندقا أثره باق إلى الأن. الحميرى : الروض المعطار ، ص٤٥٤.

ويبدو تحديد موقع القبطيل من قول العذرى ، فى وصف غارة المجوس ـ النورمانديون ـ على اشبيلية سنة ٢٣٠ هـ ، فبعد لقائهم عند طلياطة انهزموا '' وبقوا أياما بين طلياطة وقبطيل حتى خرج المجوس من جهة النهر الذى يلى لبلة ، ثم هبط المجوس إلى قنب قوريش ، ثم دخل أعداء الله إلى قبطيل فصاروا بين أودية فنزل عليهم المسلمون من جنبى النهر''. العذرى: (أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس المعروف بابن الدلائى) ت ٤٧٨ هـ – ١٠٨٥ م ، ترصيع الأخبار وتنويع الأثار

والبستان فى غرائب البلدان ، والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق د/ عبدالعزيز الأهوانى، منشورات معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، ١٩٦٥ م ، ص ١٠٠.

أما كلمة قبطيل ، فتعنى القناة ، وتساوى كلمة Capital باللغة اللاتينية. الحميرى : الروض المعطار ، ص ٤٥٤ ، هامش رقم (٦).

(٢١) قورة أو قورية: '' بالأندلس قريبة من ماردة ، بينها وبين قنطرة السيف مرحلتان، ولها سور منيع ، وهى أولية البناء واسعة الفناء، من أحصن المعاقل، وأحسن المنازل ، ولها بواد شريفة خصيبة ، وضياع طيبة ، وأصناف من الفواكه كثيرة ، وأكثرها العنب والتين ''. الحميرى : الروض المعطار ، ص ٤٨٥.

(٢٢) مدينة طلياطة Tablada: '' بالأندلس بينها وبين اشبيلية محلة من عشرين ميلا ، ومن طلياطة إلى لبلة محلة مثلها. وفى جمادى الأولى من سنة اثنتين وعشرين وستمائة ، كانت الوقيعة على أهل اشبيلية بفحص طلياطة ، فأغار الروم الغربيون على تلك الجهة ، فغنموا ما وجدوا ، واستاقوا ما أصابوا ، والعادل صاحب المغرب يومئذ باشبيلية ، ووزيره أبو زيد بن يوجان ، ومعهما أهل الدولة وأشياخ الأمر ، ولا غناء لديهم ، ولا مدفع عندهم ، إذ كان الأمر قد أدبر ، ورونق الدولة قد تغير ، ومن نزلت به من الناس مصيبة أو أغير له على سرح لم يرج مغيثا ولا يجد نصيرا ، وكان خبر هؤلاء الروم بلغ اشبيلية قبل لك بأيام ، واجتمع جمع كثير من العامة فى المسجد الجامع ، فلما فرغ من صلاة الجمعة ، قاموا فصاحوا بالسلطان يحملونه على الخروج ، فلما كان يوم السبت خرج المنادى ينادى الناس بالخروج إلى العدو ، فأخذوا فى ذلك وتجهزوا ، وخرج بعضهم فى ذلك اليوم ، ولما كان يوم الأحد جد الناس بالخروج ، فخرجوا على كل صعب وذلول ، كبارهم وصغارهم ، بسلاح وبغير سلاح ، كما يخرجون إلى نزههم فى البساتين والجنات ، فتكامل جمعهم فى جهة طلياطة ، يوم الأحد ، ولم يخرج معهم من الخيل إلا دون المائة ، والروم فى عدد ضخم ، وعليهم الدروع ، وبأيديهم الأسلحة ، وأكثر جمع المسلمين بغير سلاح ، إلا ما لا قدر له ، وإنما هم أهل الأسواق والباعة ، وكان فيمن خرج من الجند ، أبو محمد عبدالله بن أبى بكر بن وزير ، وهو أعلم بالحرب من هؤلاء الرعاع والغوغاء الذين لا يعقلون ، فصاحوا به أن يصير بهم إلى لقاء العدو ، فأبى عليهم ونهاهم وحذرهم ، فأبوا عليه إلا اللقاء وسبوه وآذوه بالقول ، فتركهم وانصرف عنهم ، هو ومن كان معه من الخيل ، إذ رأوا ما لم يروه ، وعاينوا ما لم

يعاينوه ، وابصروا ما لا طاقة لهم به، فلما رأى الروم ذلك مالوا على أولئك العامة ، فلما رأوهم مستقبلين لهم أخذوا فى الفرار ، فوقع القتل بهم ، فأفنى منهم بالقتل كثير ، وأسر منهم كثير ، وأفلت كثر، وكان الناس بعد يختلفون فى مقدار من أتى القتل عليه من أهل اشبيلية والأسر ، فمقلل ومكثر ، فالمكثر يقول : بلغوا عشرين ألفا ، وقيل دون ذلك ، فالله أعلم. وخرج العادل من اشبيلية متوجها إلى حضرة مراكش فى ذى القعدة من هذه السنة ، وهى سنة إحدى وعشرين وستمائة''.. الحميرى : نفس المصدر ، ص ٣٩٥.

الحقيقة أثرت أن أنقل هذا النص من الحميرى، فى الروض المعطار، عن مدينة طلياطة للتوضيح بأنها كانت مطمعا بحريا هى واشبيلية ، حتى فى العصور اللاحقة ، وبخاصة من العدوة المغربية

(٢٣) ابن القوطية : تاريخ إفتتاح الأندلس ، ص ٦٦.

(٢٤) ابن عذارى : نفس المصدر ، ج٢ ، ١٢٠.

(٢٥) Leve Provencal: Histoire , T,1 . P 222.

(٢٦) مدينة قرمونة : Carmona ، '' مدينة بالأندلس فى الشرق من اشبيلية ، وبينها وبين استجة خمسة وأربعون ميلا ، وهى مدينة كبيرة قديمة ، وهى باللسان اللطينى : كارب موية ـ وهى الكاف والألف والراء والباء المعجمة بواحدة ، معناه صديقى. '' الحميرى : الروض المعطار ، ص ٤٦١.

وتقع على بعد ٣٥ كم ، من اشبيلية ، إلى الشمال الشرقى منها ، وهى من المدن التى اختطها الرومان ، وكانت تسمى باللاتينية Carmo ، وكانت من أهم وأكبر القواعد الأندلسية أيام حكم المسلمين . الحموى : معجم البلدان ، ج٤ ،ص ١٩٦.

(٢٧) نصر الخصى :هو أبو الفتح نصر بن أبى الشمول ، كان أبوه من نصارى قرمونة ، واعتنق الإسلام أيام الأمير الحكم الربضى ، وكان نصر من جملة من خصاهم الحكم من ذوى الجمال فى قرطبة ، وقد علت مكانته فى عهد الحكم ، ثم فى عهد ولده الأمير عبدالرحمن ، حتى عهد إليه بقيادة الجيوش المتجمعة ، والتى وجهت للنورمانديين ، وذلك سنة ٢٣٠ هـ / ٨٤٤ م ، وقد أورد ابن حيان ، قصته حول انحيازه لحظية الأمير عبدالرحمن، وأم ولده عبدالله ، وهى طروب، وهى القصة التى أدت لنهايته. للمزيد حول نصر الخصى راجع :- ابن حيان : (أبو مروان حيان بن خلف القرطبى) (٣٧٧-٤٠٠هـ) (٩٨٧- ١٠١٠م)، المقتبس، الجزء الخامس، نشره : ب، شالميتا ، ف،

كورينطى، م ، صبح، المعهد الإسبانى العربى للثقافة، كلية الآداب بالرباط، مدريد، ١٩٧٩م. ص ١٤٩ وما يليها، وهامش (٤٩) ، ص ٢٥٠.

(القطعة الخاصة بعصر الأمير / عبدالرحمن الأوسط). ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٩٦.

(٢٨) موسى بن قسى : هو موسى بن موسى بن فرتون بن قسى ، هو أشهر أفراد هذه الأسرة التى حكمت الثغر الأعلى مدينة سرقسطة ، وكان جدهم الأعلى قسى ، قومس الثغر الأعلى ، أيام دولة القوط ، التى حكمت أسبانيا قبل الفتح الإسلامى ، وعند دخول المسلمين لحق جدهم ببلاد الشام ، وأسلم بين يدى الخليفة الأموى الوليد بن عبدالملك ، والذى فتحت الأندلس فى عهده ، وقد كان موسى منطويا تحت حكم الأمير عبدالرحمن الأوسط ، واليا على تطيلة وأرنيط . للمزيد راجع : ابن حيان : المقتبس من أنباء أهل الأندلس ، ص ١٤٣.

وهامش (١)، ص ٢٣٥ وما يليها ابن حزم:(أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى القرطبى)، ٣٨٤ – ٤٥٦ هـ – ٩٩٤ – ١٠٦٤ م، جمهرة أنساب العرب، تحقيق د/ عبدالسلام هارون، ذخائر العرب (٢)، نشر/ دار المعارف، الطبعة الخامسة ، ٢٠٠٨م ، ص ٥٠٢ ، ٥٠٣. ابن عذارى : البيان المغرب : ج٢، ص ٨٧، ٩٥.

(٢٩) ابن القوطية : تاريخ إفتتاح الأندلس ، ص ٦٣.

(٣٠) مورور : Moron de La Frontera ، '' كور مورور متصلة بأحواز قرمونة من جزيرة الأندلس ، وهى فى الغرب والجوف من كورة شذونة ، وأحوازها متصلة بأحوازها ، وهى من قرطبة بين القبلة والمغرب، ومدينة قلب قاعدة مورور ، ودار الولاة بها ، وكانت جباية كورة مورور أيام الحكم بن هشام بن عبدالرحمن ، أحدا وعشرين ألف دينار ''. الحميرى : الروض المعطار ، ص ٥٦٤.

(٣١) ابن القوطية : نفس المصدر ، ص ٦٤.

(٣٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٢ ، ص ١٣١ . وما يليها.

(٣٣) ابن عذارى : نفس المصدر ، ج٢ ، ص ١٢٣.

(٣٤) لبلة : قصبة كورة بالأندلس ، يتصل عملها بعمل أكشونبة ، وهى مدينة برية وبحرية ، تكثر بها الزروع والثمار. الحموى : معجم البلدان ، ج٥ ، ص ١٠.

ويقول عنها الحميرى فى الروض المعطار'' فى غرب الأندلس، مدينة قديمة بها ثلاث عيون، عين تهشر وهى أغزرها، والثانية عين تنبعث بالشب ، والثالثة عين تنبعث

بالزاج، ومن اشبيلية إلى طلياطة مرحلة من عشرين ميلا، ومن طلياطة إلى لبلة مرحلة مثلها ، وتعرف لبلة بالحمراء، وبها آثار للأول كثيرة ، وسور لبلة قد عقد على أربعة تماثيل: صنم تسميه العامة دردب ، وعليه صنم آخر ‘‘. الحميرى : نفس المصدر، ص ٥٠٧.

(٣٥) المقرى : (أحمد بن محمد المقرى التلمسانى) ت ١٠٤١م – ١٦٣١م ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق الأستاذ محى الدين عبد الحميد، القاهرة ، ١٩٤٩م ، الجزء الأول ، ص ٣٢٤.

(٣٦) محمد بن رستم : هو محمد بن سعيد بن محمد بن عبدالرحمن بن رستم (ت ٢٣٥ هـ)-(٨٤٩ -٨٥٠م)، هو أحد أحفاد منشىء الدولة الرستمية فى بلاد المغرب ، فى بداية حياته اتصل محمد بالأمير عبدالرحمن الأوسط ، وذلك قبل أن يعتلى عبدالرحمن الإمارة ، حينما كان يعمل لأبيه الحكم واليا على مدينة شذونة فى جنوب الأندلس ، ثم استعمله عبدالرحمن فى الوزارة والحجابة ، والقيادة ، وأرسله عبدالرحمن سنة ٢١٤هـ-٨٢٩م ، للتعامل مع ثورة هاشم الضراب فى مدينة طليطلة ، وقد تمكن من القضاء على ثورة الضراب. ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص ٨٣. أما الدور الكبير الذى قام به، فقد كان أيام الأمير عبدالرحمن ، فقد كان أحد أهم القواد الذين تعاملوا مع الغارات المفاجأة للمجوس (النورمانديين) ، عند نزولهم باشبيلية سنة ٢٣٠هـ - (٨٤٤ - ٨٤٥ م) ، للمزيد راجع:- ابن عذارى : نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٨٧، ٨٨. العذرى : ترصيع الأخبار ، ص ٩٩ ، ١٠٠. ماريا خيسوس بيجيرا : محاضرة عن محمد وعبدالرحمن بن رستم فى قرطبة ، ملتقى الفكر الإسلامى ، بوارجلان ، ١٩٧٧م ، من ص ٢٧٥ - إلى ص ٢٩٨.

(٣٧) Leve Provencal: Op . Cit ,T.1. P. 224.

(٣٨) للمزيد حول هذا الموضوع ، ودور الأسطول الأندلسى فى عصر الأمير عبدالرحمن الأوسط ، راجع:- حسين مؤنس : غارات النورمانديين على الأندلس بين سنى ٢٢٩ - ٢٤٥ هـ ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، العدد الأول ، المجلد الثانى ، ١٩٥٠ م ، ص ٤١ وما يليها.

(٣٩) ابن القوطية: تاريخ إفتتاح الأندلس، ص ٦٥.(٤٠) يحيى الغزال: هو يحيى بن الحكم البكرى الجيانى (١٥٦ - ٢٥٠ هـ - ٧٣٣ - ٨٦٤م) من أبرع شعراء الأندلس ، وقد لقب بالغزال لجماله ووسامته ، عاصر خمس أمراء لبنى أمية، وقد ولاه الأمير عبد الرحمن الأوسط

قبض الأعشار ، كما أوكل إليه القيام بسفارتين شهيرتين ، الأولى إلى بلاط البيزنطيين عند تيوفيل ملك بيزنطة ، والثانية إلى ملك النورمان هوريك الأول ، وهذه الرحلة استغرقت عشرين شهرا ، علاوة على رحلة إجبارية إلى الشرق ، حيث نفاه الأمير عقب هجاءه لزرياب ، ثم عفا عنه الأمير ، وقد تناولته بالترجمة والتوثيق لأشعاره العديد من المصادر الإسلامية. ومنها. الحميدى : (أبو عبدالله محمد بن أبى نصر فتوح) (٤٢٠ – ٤٨٨ هـ)–(١٠٢٩ – ١٠٩٥ م) جذوة المقتبس فى تاريخ علماء الأندلس، دار الكتاب المصرى القاهرة ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت، ١٩٨٩ م، الجزء الثانى، ص ٥٩٧ ، ٥٩٨.ابن دحية الكلبى:(أبو الخطاب عمر بن حسن) (٥٤٤ – ٦٣٣ هـ) – (١١٥٠ – ١٢٣٦ م) المطرب فى أشعار أهل المغرب تحقيق أ/ إبراهيم الإبيارى، د/ حامد عبدالمجيد، د/ أحمد أحمد بدوى، راجعه د/ طه حسين، دار العلم للجميع، بيروت ، لبنان ، ١٣٤٧ هـ ، ١٩٥٥م ، ص ١٣٨ ، ١٤٦. ابن عذارى : البيان ، ج٢ ، ص ٩٣.

(٤١) شلب Silves،'' من بلاد الأندلس، وهى قاعدة كورة اكشونبة، وهى بقبلى مدينة باجة، ولها بسائط فسيحة، وبطائح عريضة، ولها جبل عظيم منيف كثير المسارح والمياة، وأكثر ما ينبت فيه شجر التفاح العجيب يتضوع منه روائح العود إذا أرسلت فيه النار. وهى فى بسيط من الأرض عليها سور حصين، ولها جنات وغلات، وشرب أهلها من واديها الجارى إليها من جهة جنوبها، وعليه أرحاء البلد ، والبحر منها فى الغرب، على ثلاثة أميال، ولها مرسى فى الوادى، وبها الإنشاء، والعود بجبالها كثير يحمل منها إلى كل الجهات. والمدينة فى ذاتها حسنة الهيئة بديعة البناء ، مرتبة الأسواق، وأهلها وسكان قراها عرب من اليمن وغيرها، وكلامهم بالعربية الصريحة، وهم فصحاء يقولون الشعر، وهم نبلاء خاصتهم وعامتهم، وأهل بوادى هذه البلدة فى غاية من الكرم لا يجاريهم فيه أحد. ومن شلب إلى بطليوس ثلاث مراحل، ومن شلب إلى مرتلة أربعة أيام. الحميرى : الروض المعطار ، ص ٣٤٢.

(٤٢) للمزيد من التفاصيل حول هذه السفارة، راجع :– ابن دحية: (أبو الخطاب عمر بن أبى الحسن بن دحية البلنسى) ت ٦٣٣ هـ، المطرب فى أشعار أهل المغرب، نشر وزارة المعارف، سنة ١٩٥٤ م، ص ١٣٨ وما يليها.

(٤٣) العذرى : ترصيع الأخبار ، ص ١١٨.

(٤٤) العذرى : نفس المصدر ، والصفحة. ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٢ ، ص ٩٩.

(٤٥) حشحاش وابن شكوح: لم أعثر لهما على ترجمة فى كتب التراجم، أكثر من مقتل امير البحر حشحاش فى إحدى المواجهات البحرية، حيث تكالب عليه النورمانديون، وقتلوه فوق سفينته، أما ابن شكوح فلم نعرف ماذا حدث له. راجع ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج٧ ، ص ٢٨. عنان. ص ٢٩٦.

(٤٦) العذرى : نفس المصدر ، ص ١١٨ ، ١١٩.

(٤٧) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٢ ، ص ٩٩. ابن الأثير: نفس المصدر ، ج٧ ، ص ٢٨.

(٤٨) عمر بن حفصون:(ت ٣٠٦ هـ – ٩١٨ م) هو أكبر وأهم ثوار الأندلس على الإطلاق ، عاصرت ثورته أربعة من حكام بنى أمية، واستطاع أن يسيطر على مناطق كبيرة من الأندلس، انضم إلى حركته أعداد كبيرة من الخارجين والناقمين على الدولة الأموية ،وقد استطاع عبدالرحمن الناصر من إنهاء حركته والقضاء تماما عليها. للمزيد راجع :– ابن حيان : (أبو مروان بن خلف) ، المقتبس فى تاريخ رجال الأندلس، الجزء الثالث، نشره الأب / ملشور أنطونيا، باريس، ١٩٣٧ م، ص ٣٣. ابن عذارى: البيان المغرب ، ج٢، ص، ٢٣٠.

(٤٩) للمزيد حول هذا الموضوع راجع:– العبادى: (أحمد مختار العبادى): سياسة الفاطميين نحو المغرب الأندلس، مجلة معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، المجلد الخامس ، ١٩٥٧ م ، ص ٢٠٦.

(٥٠) المعز لدين الله الفاطمى : هو المعز معد أبو تميم بن منصور ، رابع الخلفاء الفاطميين فى بلاد المغرب، إفريقية، ولد فى بلاد المغرب أو إفريقية حوالى سنة ٩٣١م. وهو أول الخلفاء الفاطميين فى مصر، حكم فى عاصمته القاهرة حوالى سنة ٩٧٥م، أرسل قبل أن يأتى إلى مصر أحد أهم وأكبر وأشهر قواده ، جوهر الصقلبى لفتح مصر، وحكم جوهر لمدة أربع سنوات من سنة ٩٥٣ – ٩٥٧م ، قبل أن يصل المعز إلى مصر، وقد أسس جوهر للمعز، أخر عواصم مصر الإسلامية، مدينة القاهرة، بالقرب من أول عواصم مصر الإسلامية مدينة الفسطاط ، كما أسس الجامع الأزهر، وتوفى المعز فى ١٩ ديسمبر ٩٧٥م، فى مصر.

للمزيد راجع: ابن خلكان: (شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن بى بكر بن خلكان) ٦٠٨ – ٦٨١ هـ/١٢١١– ١٢٨٢م، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م ، ج٥ ، ص ١٣٥ وما يليها.

ايمن فؤاد سيد : الدولة الفاطمية فى مصر (تفسير جديد)، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٤٢٣ هـ – ١٩٩٢م ، ص ١٣٥ وما يليها.

(٥١) المرية: هى من أهم مدن الأندلس الساحلية، مدينة كبيرة، من مدن كورة إلبيرة، من أعمال الأندلس، وكانت هى ومدينة بجانة، تمثلان بابى الشرق البحرى، ومن المرية يركب التجار، وفيها مرفأ، مرسى كبير للسفن . الحموى: (ياقوت الحموى) معجم البلدان، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٦٤م، ج٥ ، ص ١١٩.

(٥٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٢ ، ص ٣١٨ ،٣١٩.

(٥٣) ابن خلدون : تاريخ العبر ، ج٤ ، ص ١٣٨. المقرى : نفح الطيب ، ج١ ، ص ١٦٩.

(٥٤) ابن عذارى : نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٢٥٦.

(٥٥) ابن خلدون : نفس المصدر ، ج٤ ، ص ١٤٥.

(٥٦) قصر أبى دانس Alcacer De Sal:'' غربى الأندلس، فيه كانت الوقيعة على المسلمين للروم فى سنة أربع عشرة وستمائة ، وأعانهم أهل الأشبونة ، وغيرها من مملكة ابن الرنق ، فأخذوا فى نقب الأرض تحت الحصن إلى أن أفضوا إلى السور، وأفضى الناس إلى الهلكة، وبلغ الأمر إلى الولاة الذين فى غرب الأندلس : اشبيلية وقرطبة وجيان، فتجهزوا لدفاع العدو، وجاء منهم جيش عظيم لكنهم تخاذلوا على عادتهم، فكانت الهزيمة عليهم وولوا منهزمين، ووقع القتل والأسر، ولم يبرز للمسلمين من الروم، إلا نحو سبعين فارسا، ورأى أهل الحصن ذلك فأيقنوا بالتغلب عليهم''. الحميرى : الروض المعطار ، ص ٤٥٧.

(٥٧) عبدالرحمن بن محمد بن رماحس: هو أحد أهم أمراء البحرية الأندلسية فى عصر الخلافة أرسله الخليفة الحكم المستنصر إلى مدينة المرية بأسطول كبير لمواجهة غارات النورمانديين. للمزيد حول دوره فى البحرية الأندلسية . راجع:– ابن حيان: (أبى مروان حيان بن خلف ابن حيان الأندلسى) ٣٧٧–٤٦٩هـ– ٩٨٧ – ١٠٧٦ م ، المقتبس فى أخبار بلد الأندلس ، شرح وتحقيق د/ صلاح الدين الهوارى ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٦م ، ص ١٦ وما يليها.

(٥٨) ابن عذارى : نفس المصدر ، ج٢ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦.

(٥٩) ابن حيان : نفس المصدر ، ص ١٦.

(٦٠) غالب بن عبدالرحمن : هو ذو السيفين أبو تمام غالب بن عبدالرحمن الناصرى صاحب مدينة سالم والثغر الأدنى ، فارس الأندلس ، وشيخ موالى بنى أمية بالأندلس ، صهر المنصور بن أبى عامر ، زوج ابنته أسماء ، دخل فى صراع طويل مع المنصور ، انتهى بمقتله فى ٤محرم سنة ٣١٧ هـ - ٩ أغسطس سنة ٩٨١م. للمزيد راجع :- ابن حيان: المقتبس فى أخبار بلد الأندلس، ص ١٤ ، ١٦ ، ١٧ ، ٤١. وما يليهما. ابن خلدون : كتاب العبر ، ج٤ ، ص ١٤٥.

ابن الخطيب: أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام،وما يجر ذلك من شجون الكلام، تحقيق أ / ليفى بروفنسال ، لبنان ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٦ م ، من ص ٦٠ - ٦٥.

Maria luis Ávila – sobre Galib y almanzor “Al Qantar. Revista de Estudio Arabes”; Volm. II Fasc. 1 y 2, Madrid 1981.

(٦١) ابن حيان : نفس المصدر ، ص ١٦.

(٦٢) الحشم: وحشم الرجل خاصته الذين يغضبون لغضبه ، ولما يصيبه من مكروه ، وهم من العبيد أو الأهل، أو الجيرة. ابن حيان : المقتبس فى أخبار بلد الأندلس ، ص١٧ ، هامش (٢).

(٦٣) محمد بن قاسم بن طملس : صاحب المظالم ، وكان أول من تولى خطة المظالم ، بعد أن تم فصلها وأصبحت مستقلة عن خطة العرض ، وكان هو أول من تولاها ، كما ذكر ابن حيان، أنه حمل لقب صاحب الحشم ، فى عهد الخليفة الحكم المستنصر بالله ، وقد كان له دور كبير فى قتال أخر أمراء الأدارسة فى بلاد المغرب الحسن بن كنون.ابن حيان: المقتبس فى أخبار بلد الأندلس ، ص ١٧، ٢٠، ٣٢، وما يليهما. ابن خلدون : كتاب العبر ، ج٦ ، ص ٢١٧.

(٦٤) زياد بن أفلح : هو أحد أهم زعماء الصقالبة فى الأندلس ، ومن وزراء الدولة العامرية ومن كبار رجالها كان يتولى المدينة ، وقد اشترك فى المخطط الإنقلابى ، إلا أنه عندما أدرك فشل المحاولة، انقلب على المقربين له من أصحابه ، خوفا من افتضاح أمره ، وقد أيد صلب عبدالملك بن منذر، دون أن يكتشف أمره ، وعاونه فى ذلك أحمد بن محمد بن عروس، وتوفى زياد سنة ٣٦٨ هـ. ابن الآبار: (محمد بن عبدالله بن أبى بكر القضاعى) ٥٩٥ - ٦٥٨ هـ - ١١٩٩ - ١٢٦٠ م،الحلة السيراء، تحقيق د/ حسين

مؤنس دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٥م ، الجزء الأول ، ص ٢٧٨ ، ٢٨٠ ، حاشية رقم(٢).

ويضيف الزركلى كان من أهم '' وزراء الدولة العامرية بالأندلس ، ومن كبار رجالها ، وكان أبوه مولى للخليفة الناصر''. خير الدين الزركلى : (خير الدين بن محمود بن محمد الزركلى الدمشقى) ١٣١٠– ١٣٩٦ هـ– ١٨٩٣– ١٩٧٦ م ، الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الخامسة عشر ، مايو ٢٠٠٢م ، الجزء الثالث، ص ٥٤.

(٦٥) يبدو من حديث ابن حيان عن راية الأمويين التى تسمى بالعقدة ، أنها كانت لا تخرج ، ولا يتم رفعها، إلا فى الأمور ذات الأهمية الكبيرة.

(٦٦) ابن حيان : نفس المصدر، ص ١٧. ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٢ ، ص ٢٥٧.

(٦٧) قبرة : Cabra، هى كورة تتصل بأعمال مدينة قرطبة من قبليها ، ذات أرض زكية، وهى مخصوصة بكثرة الزيتون. الحموى: معجم البلدان، ج٤ ، ص ٣٠٥. ويقول الحميرى'' مدينة بالأندلس، بينها وبين قرطبة ثلاثون ميلا ، ذات مياه سائحة من عيون شتى، منها العين التى عليها النهر، الذى هناك مخرجه من ناحية جبل شيته، عليه أرحاء كثيرة ، وهذا الجبل الشامخ ينبت ضروب النواوير، وأصناف الأزاهير، وأجناس الأفاوية والعقاقير، وتدوم غضارة نوره وتتصل بهجة نبته باعتدال هوائه، وكثرة أندائه، فيقطف النرجس فيه غضا زمن الورد. والمسجد الجامع بقبرة ثلاث بلاطات. وبها سوق جامعة يوم لخميس، وتحسن بها ضروب الغراسات وأنواع الثمرات، وهى مخصوصة بكثرة الزيتون. الحميرى : الروض المعطار ، ص ٤٥٣.

(٦٨) سورة الفتح : الأية (١).

(٦٩) باب السدة: هو أحد أبواب قصر الخلافة فى مدينة قرطبة. ابن حيان : المقتبس فى أخبار بلد الأندلس، ص ١٧ ، هامش (٣).

(٧٠) شاكى الأسلحة: يقال فلان شاك السلاح، وشاك فى السلاح، أى يلبس السلاح التام، وهو من الشكة، وهى ما يلبس من السلاح. ابن حيان : نفس المصدر ، ص ١٧ ، هامش (٤).

(*) متلبب: تلبب الرجل، أى تحزم وتشمر، أى لبس السلاح. ابن حيان: نفس المصدر، ص ١٨، هامش، (١).

(٧١) ابن حيان : المقتبس ، ص ١٧ ، ١٨. ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٢ ، ص ٢٥٧.

(٧٢) ابن حيان : نفس المصدر ، ص ٤٠ ، ٤١.